Small Dreams

أحلام صغيرة

محمد عبد العال

محمد مصطفى عبد الحميد

دار المعالي للنشر والتوزيع

أحلام صغيرة

محمد مصطفى عبد المجيد

دار المعرفي
للنشر والتوزيع

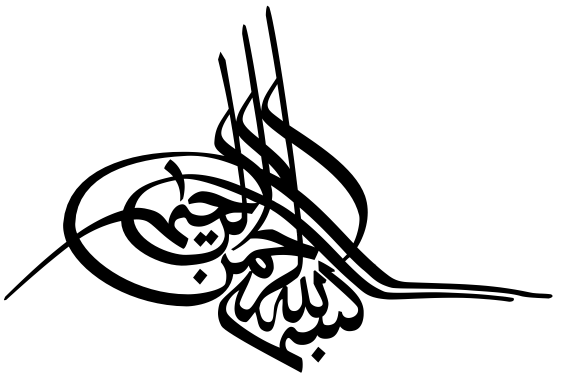

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٢ م

رقم الإيداع : ٢٠١٢/١٠٢٣٥

للنشر والتوزيع

هاتف : ٠١١٤٧٩٧٤٧٤٩

E-MAIL :

Dar_alma3ali@yahoo .com

قبل الأحلام ..

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ..

اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم ..

أما بعد ؛

فبين يديك باقة من القصص والخواطر ..

ستحلِّق فيها مع أحلامك .. ثم تهبط بجناحيك إلى الواقع ..

تثير ذكريات الماضي .. ثم تتطلع إلى المستقبل ..

ستبتسم أحيانًا .. وتبكي في أحيانٍ أخرى ..

وفي النهاية .. قد تتفق مع ما قرأت أو تختلف ..

إلا أن رحلتك مع « أحلام صغيرة » تظل جديرة بأن تخوضها !

محمد مصطفى عبد المجيد

abdelmageed.mm@gmail.com

أمسك قلمه ..

وما إن لامس أوراقه ..

حتى انسابت أشجان قلبه عبر القلم ..

كالماء هي .. تبث الحياة في أوراقه الباردة ..

ثم تحفظها الأوراق ..

و يومًا ما .. ستجد مستقرها في قلب أحدهم !

حصاني المجنح

(قصة)

حصاني المجنح !

لماذا يتبسّم ؟! وكذا هو في كل مرة ! ألا يرى صخرة اليأس وقد سدّت فوّهة الغار ؟ ألا يوقن ألاّ شعاع للأمل وسط هذا الظلام الحالك ؟! ويبتسم .. ؟! هل يَرى ما لا أرى ؟! أتعجب ..

ـ ستصيبُني بالجنون بابتسامتك تلك وتفاؤلك الساذج !

يضحك :

ـ وهل لم تُصَب بالجنون إلى الآن بتشاؤمك هذا ؟! لماذا هذه النظرة السوداوية ؟! أبشر يا صاحبي !

يبتسم ، ثم يمازحني :

ـ أتذكُر المرة السابقة حين قلتَ .... ؟ والتي قبلها حين ظننتَ .... ؟ أما آن لك أن تخلع نظارتك السوداء ؟

نظارتي التي يسميها سوداء أسميها أنا : واقعية ـ عقلانية ـ ناضجة .. ولكنه المنتصر في كل مرة !

كلُّ مرة ينفض الغبار عن مرَّات سابقة تكرَّر فيها الموقف بحذافيره .. كان هو الغالب

دائمًا ، ولكن أيظن أن كل مرة سيحدث الأمر ذاته ؟! لا أدري من أين يكتسب هذه الثقة ؟!

غادرتُ العمل منصرفًا إلى المنزل ، أسير متجهًا إلى سيارتي في حَرِّ العصر الخانق .. بالرغم من ضيقي بتشاؤمي ؛ هل يا تُرى قد ألفتُه حتى صار جزءًا مني ؟ أو صرتُ كمُدمِن لا يستطيع أن يستغني عن المخدِّر وإن كرهه ؟ .. أجتاز الشارع وسط زحام الطلبة المنصرفين من المدارس وصراخ الأطفال المزعج ..

يقولون دومًا أنني وهو وكأننا « فولة » قُسمت نصفين ، ولكن يبدو أن أحد نصفَي تلك « الفولة » كانت قبلتُه قِبَل المشرق ؛ فتغلغل فيه النور حتى تجسّد فيه ، ينظر إلى المُحاق فينعكس نوره عليه فيراه بدرًا ، بل يراه بعضُ مَن حوله بدرًا أيضًا .. يستبشر .. ويبتسم ..

والنصف الثاني في ظلامٍ نشأ .. أنا .. حيث القبلة قِبَل المغرب ، لا أرى الشمس إلا حال احتضارها خلف أمواج البحار .. أتردّد .. أخاف .. أتوجّس .. لا أدري كيف يتّسع قلبه لمثل هذا التفاؤل ؟! وهل يسعد بذلك أم أنّ السعادة في مثل إحجامي المتوجِّس ؟! .. أصرخ في بعض طلبة المدارس الجالسين على سيارتي .. يضحكون

على حِدّة الصراخ كأن مَن أمامهم به مَس مِن الشيطان !

لماذا لا أكون صريحاً مع نفسي ؟! أنا أنظر إلى كل ما حولي بنظرة تشاؤمية ، ومِن خلال نظارة سوداء ، وهذا بلا شك يكدِّر عليَّ حياتي .. فلأكن صريحاً قليلاً مع نفسي .. أُدير سيارتي التي أتمنى ليلاً ونهارًا أن أتخلص منها .. تلك المزعجة !

بالتأكيد هؤلاء الذين ينظرون إلى ابتلاءات الحياة وصعوباتها ومشاقها بنظرة غير نظرتي يشعرون براحة في نفوسهم ، أو لعلهم هكذا يُظهِرون .. أتحرّك بالسيارة نصف متر وأقف ، ثم نصف متر وأقف في إشارات مزدحمة بحافلات ممتلئة بالموظفين وطلبة المدارس .. تبًّا لك يا أعصابي ما عدتِ تحتملين !

أهي خِلقةٌ يخلق اللّهُ الناسَ عليها ؟ أم أنها التربية ؟ أم أنه الإيمان ؟ .. وهل يمكن أن أتغير ؟ ما هذه الأحلام التي أسبح فيها وسط هذا الزحام القاتل .. نزلتُ من السيارة لأتشاجر مع سائق السيارة التي أمامي لا لشيء إلا لتفريغ شحنة يومية من الغيظ والنكد .. ضابط المرور .. مخالفة ! أهلاً وسهلاً !

ـ ماذا أفعل إن أردتُ أن أكون مثلك ؟!

فاجئته بالسؤال العجيب في اليوم التالي .. تبسَّم متعجِّبًا مستفهمًا ، واصلتُ :

ـ أريد أن أتعامل مع الأمور ببساطة كما تفعل ! أريد أن أعرف كيف تتفاءل في أحلك الظروف !

تجمّدت ابتسامته قليلاً ، سكت هنيهة ، ثم أخذ بيدي وجرّني إلى النافذة بجوار مكتبه ، نظر إلى سحابة في السماء ، سألني :

ـ ماذا ترى ؟

نظرتُ إلى حيث ينظر ثم نظرت إليه متعجِّبًا ، يبدو أن المتفائلين هم المجانين لا المتشائمين !

ـ أتقصد السحاب ؟!

ـ نعم .. على أيِّ صورة تراه ؟!

نظرت إلى السحابة ، وتذكَّرت أيام الطفولة عندما كنت أتخيل الصور في السحاب ، وفي تقشير طلاء الحائط في بيت جدتي القديم ، أو في نقوش سجاجيد بيتنا !

رأيت تِنينًا وحشيًا بقرنين وقد فتح فمه يخرج نارًا منه .. أخبرته .. تبسَّم ثم قال :

ـ ولكنني لا أرى ما رأيت ! إننى أرى حصانًا أبيضَ مجنحًا جميلاً ينظر إلى الأفق مبتسمًا .

ـ أين هذا ؟!

ـ هذه رأسه .. هذا جناحاه .. هذا جسده .. واضح ، ألا تراه ؟!

تعبتُ في محاولة تخيُّل ما ذكر ، ثم انتبهت إلى أنه قد ذهب بي إلى غير ما أردتُ ، هممتُ أن أسأله ولكنه بادرني وهو ينظر إلى السحاب :

ـ السحابة واحدة ، ولكن بأي عينٍ رآها كلٌّ مِنا ؟!

كل ما حولنا ـ مهما كان مؤلمًا ـ فإنك إن نظرتَ فيه فستجد فيه أبوابًا من الخير تضيء لك طريق الأمل في قلبك .

التفتُّ إليه مرهفًا سمعي ، تابع قائلاً :

ـ أتعلم أن اللّه لا يخلق شرًّا محضًا أبدًا ؟! فكل شرٍّ أوجده اللّه فمِن وراءه الخير الكثير ، وربُّنا حكيم .

الفرق بيني وبينك أنني أرتدي تلك النظارة التي ترى هذا الخير ، وإن لم أرهُ بها فإن بصيرة القلب تجزم بوجود هذا الخير وإن لم تعرفه .

سكتَ قليلاً ، ثم التفت إليَّ مستطردًا :

ـ يا رفيقي .. ما مِن مصيبة أو بَليَّة في حياتنا إلا وهي تحمل في رحمها خيرات ، فلتنظر إليها من هذا الجانب ..

سنصبر ، سنصمد ، سنزرع الأمل في قلوبنا ، ونسعد ..

أكان يحرث قلبي بكلماته الحية ، ثم يزرع فيها بذور الأمل وقلبي ساكنٌ بين يديه ؟!

صامتٌ أنا .. أسمع ، وهو يحرث ويزرع ..

أرفع بصري إلى السماء أتجاوز به تلك الحواجز التي بنيتها بيديَّ ..

تلك الحواجز الكفيلة بأن تدفن كل إشراقة أمل تبزغ في آفاق نفسي ..

أرفع بصري .. أنظر إلى أعلى ..

إلى السحاب أنظر .. إلى حيث أشار ..

أبتسم .. وأنا أرقب حصاني المجنح !

نفسية !

كتائهٍ في صحراء يبحث عن شربة ماء أخذ يتحسس ما حوله في الظلام بحثا عن أقراص دواء الضغط ! الصداع يفتك برأسه وصوت اندفاع الدم يرتفع في أذنيه كأنه طبول حرب !

وجدها أخيرًا على منضدة الطعام .. أخذ قرصًا ، وبعد دقائق بدأ يشعر براحةٍ وخدرٍ في رأسه ، ثم خلد إلى النوم ..

استيقظ على صوت ابنه الصغير باكيًا : من أخذ قطعة الحلوى الخاصة بي ؟ لقد تركتها بالأمس على منضدة الطعام هنا !

أحلام
صغيرة

أحلام صغيرة

❶

تصوراتٌ بريئة ..

أفكارٌ مزدحمة ..

أحلامٌ مُكدَّسة ..

نعم .. هي صغيرة ..

ولكنها كانت كافية لأن يسبح فيها ..

صانعًا عالمه الخاص ..

فجسده الصغير لا يحتاج سوى لبِركة صغيرة ..

حتى يغمر فيها جسده وعقله ..

وخياله !

❷

ما معنى كلمة الواقع ؟!

الواقع بالنسبة إليه :

أبٌ لا يراه إلا آخر النهار ..

وأمٌّ تخرج للعمل ، ثم هي بين المطبخ والتليفزيون ..
ومَدرسة يتعلم فيها البذاءات من البلطجية الصغار ..
وينال فيها حفلات التعذيب على أيدي بعض المرضى النفسيين ..
لذا .. فلا أجمل لديه من أحلامه الصغيرة !

❸

عالمه الخاص .. هو بطله ..
له جواده الأبيض الجميل ..
ينطلق به فيتطاير شعره وأطراف ثيابه ..
يُنقذ الناس بمجرد أن يستنجدوا به ..
وتقف الجموع منبهرة بفروسيته ..
يطلقون صرخات الإعجاب :

يا له من فارس !
يا له من قوي !
يا له من بطل !

بينما يبتسم هو ابتسامة بنصف فمه ..
ثم يُضرب ضربة على رأسه ليفيق ويأخذ السندوتشات لينزل إلى المدرسة !

٤

لا تكذب !

لا تسب !

لا تسهر !

لا تتحدث مع الكبير هكذا !

لا تتكلم على أحد !

..

لماذا ينهونه عن أشياء يراهم يفعلونها ليلاً ونهارًا ؟!

هل هذه الأفعال محرّمة على الصغار ..

ثم تباح لهم عندما يكبرون ؟!

٥

رأى قطة تحتضن صغارها

وهريرة صغيرة تتحسس طريقها ..

لتصل إلى ثديها

حاول مداعبة الصغار

ولكن القطة كشرت له عن أنيابها !

التفت متعجبًا وتساءل :

لماذا تجلس القطة مع أطفالها ؟!

لماذا لا تتركهم في الحضانة ..
وتخرج للعمل مثل أمي ؟!

٦

هل يتزوج التليفزيون من تليفزيونة !
يفكر : أظن أن هذا التزاوج إن تم ..
سيكون أبناؤهما أسعدَ الأطفال !
هم فقط مَن يمكنه أن يجلس مع والديه ويأنس بهما !

٧

كان مؤمنًا بأن والده كان الأول في دراسته ..
ابتدائية .. إعدادية .. ثانوية ..
حتى في الجامعة ..
إلى أن دخل المدرسة ..
فوجد أن كل آباء زملائه في الفصل على هذا الحال !
فكَّر كثيرًا ..
توصل إلى أن غير الأوائل ..
لا يتزاوجون ولا ينجبون !

٨

في أول العام الدراسي ..
دخل ذلك العابس الفصل ممسكًا بجذع شجرة !
وبالرغم من جلوس الأطفال هادئين خائفين ..
فقد بدأ يصرخ .. يسب ..
يُعمل جذع الشجرة في أبدان الأطفال !
لماذا يُرسلنا أهلونا إلى المدرسة ..
إذا كان من الممكن أن يقيموا لنا حفلات التعذيب تلك في منازلنا ؟!

٩

كان يسمع أباه يتكلم في « السياسة اخفض صوتك » ..
هكذا تلك المتلازمة !
لا ينطق أبوه بكلمة سياسة إلا ويُتبعها بـ « اخفض صوتك » ..
كأنه يصر أن يذكرها باسمها الثلاثي !
ولما ذهب إلى المدرسة ..
اكتشف أن ما كان يسمعه مِن أبيه ..
قد تمثَّل في فصله الدراسي !

رأى (المنافق) يشاركهم في اللعب بعيدًا عن عيني المدرِّس ..

ثم ما يلبث الأخير أن يدخل الفصل ..

فيبدأ الخبيث في دلالته على أصحاب الآثام

وكأنه العذراء الطاهرة !

ورأى (الحرامي) الذي يمد يديه في حقائب الطلبة

ثم يقسم الأيمان المغلظة ـ العائمة في دموع السحالي ـ أنه ما فعل شيئًا !

ورأى (أمين الفصل) الذي لا يستفيد من صلاحياته ..

إلا في تغيبه عن الحصص الدراسية !

مكث يومًا في الفصل أثناء الفسحة ..

كتب على السبورة أسماء الطلبة ..

ثم كتب أمام كل طالب مَن يوازيه من الشخصيات السياسية التي يسمع أباه يتكلم عنها !

لا يدري لماذا عاد إلى المنزل بورقة استدعاء ولي أمر !

❿

كلما فاضت بعض أحلامه على لسانه أمام والديه ..

ضحكا ملء فيهِما وكأنه يطلق نكاتًا وطُرفًا !!

لماذا يضحكون من أحلامي ؟!

ألم تكن لهم أحلام وهم صغار مثلي ؟!

إن كانت لهم أحلام .. فلماذا لم يحققوها ؟!

أشغله الأمر كثيرًا ..

حتى توصل إلى نظريته الصغيرة :

لقد كانت لهم أحلام مثلي ..

ولكن آباءهم كانوا يضحكون منها أيضًا !

! ! !

من لطف الله ..

أن الإنسان ينسى ..

وأن الأطفال لا يكتبون !

أمسك قلمه

تذكَّر قلمه الرصاص الجميل في صغره

حنَّ إليه ..

اشتاق لأن يخطئ ..

فيجد ما يمحو به خطأه !

السطر الثالث

(قصة)

السطر الثالث

(قبل أن تقرأ : هذه القصة طويلة ومملة وقد لا تفيدك بشيء !! ولكن أظن أن عشَّاق الكتب سيتلذذون بها !) .

« هذا الولد غريب الأطوار .. مجنون .. معقَّد نفسيًّا » .. لا جديد ؛ كثيرًا ما يتهامسون بهذه الأوصاف ناصحين أباه أو أمه ، ثم يتبسَّمون في وجهه ابتسامة صفراء كأنهم لم يكونوا يقطعون في « فروته » منذ قليل ! يبتسم هو أيضًا نفس الابتسامة الصفراء التي تعلَّمها منهم !

« ستعمى عيناه .. سوف يضعف بصره .. سوف يحدودب ظهره » .. أوف ، وأيُّ أوف ! لماذا يتكالبون عليَّ وكأنني عدو استراتيجي يهدِّد منطقة الشرق الأوسط ؟!

كان عاشقًا للقراءة منذ صغره ، لا يجد متعته إلا في الكتاب ، وبالطبع كان البعض يعتبر هذه حالة مرضيَّة لانصرافه عن لعب الكرة الشراب أو بالعبوات الفارغة في الشارع ، والعودة كل يوم بشقٍّ في الرأس يحتاج إلى

بضع غُرَز كابن الجيران ، أو على الأقل خناقة مع أحد أولاد الشارع !

هذا النموذج المشجوج هو الطفل الطبيعي السوي الرائع في نظر ناصحي والديه بالتأكيد !

كم ملَّ من هؤلاء المتطفلين الذين لا يدرون ماذا يمثِّل الكتاب بالنسبة له !

مرت الأعوام وحبُّه للقراءة يزداد ، ولذته بالكتاب تزداد ، وكلما كبُر كلما كبُر ما يقرأ ..

تفوَّق ـ بلا شكَّ ـ على أقرانه ، وتميَّز عنهم في حديثه بثقافته الواسعة ، واستطاع بالضربة القاضية أن يصرع أعداء القراءة الذي كانوا يوسوسون لوالديه .. أو هكذا ظنَّ !

تخرج من الجامعة ، وبحث عن عمل .. تزوج وأنجب .. و ..

(هل صارت القصة مملَّة ؟

إذن دعني أقلب الأوراق سريعًا حتى أصل إلى ..... نعم ؛ هذه اللحظة ..) .

في وقت الفراغ في عمله يبدأ زملاؤه في تبادل النكات السخيفة ، ويجامل بعضهم بعضهم بضحكات ساقطة

مع تبادل ضربات الأكف القادمة من أعلى لتفرقع في يد المنكِّت خفيف الظل !

كان يعتزلهم ويخرج كتابه ليقرأ فيه ..

ـ ماذا تفعل ؟

كائن طحلبي يتطفل عليه .. كم يكره هذه الطفيليات .. تبسَّم تلك الابتسامة الصفراء متجاوزًا هذا السؤال الذي لا معنى له وإلا فإن الممسك بكتاب ناظرًا فيه بالتأكيد لا يلعب التنس أو "يقمِّع" البامية !

ـ أقرأ !

نظر إليه صاحبه نظرة تعجُّب ، وانصرف عنه لمواصلة الاستماع إلى النكات السخيفة ..

أين كنت ؟ أخذ يبحث عن الفقرة التي توقف عندها حتى وصل إليها وشرع في القراءة ..

سطر .. سطران .. ثلاثة ..

ـ ما اسم هذا الكتاب ؟

رفع عينيه ونظر إلى السائل .. كائن طفيلي آخر .. أعطاه نصيبه من الابتسامات الصفراء وأجابه ، ويبدو أن الكائن لم يعبأ بعنوان الكتاب أو لم يسمعه منه أصلاً فقد التفت عنه بعد أن ذكر أول كلمة من

عنوان الكتاب ، وكأنه يتلذذ بمقاطعته وحسب !

عاد مرة أخرى .. أين كنت أين كنت ؟ نعم هنا .. واصل القراءة ..

سطر .. سطرين .. ثلاثة ..

ـ هل علمت ما حدث لابن المدير ؟

تبًّا لكم ! أغلق الكتاب مستسلمًا بعد هذه الجولات ورفع عينيه سائلاً ببلاهة :

ـ ماذا حدث لابن المدير ؟

في الليل .. أدى صلاة العشاء ، وارتدى البيجامة ، وأعد كوبًا من الشاي ، وأمسك الكتاب .. أخذ يبحث عن العلامة .. لم يضع العلامة حيث وقف ! أخذ يحاول أن يتذكر أين توقف .. أخذ يقلب أوراق الكتاب وكله سخط على متطفلي العمل حتى تمكن من الوصول إلى الصفحة ، وبدأ في القراءة ..

سطر .. سطران .. ثلاثة ..

ـ ما أخبار العمل اليوم ؟

شيء منطقي جدًّا أن يقطع أحدٌ قراءته في كل مكان على وجه الكرة الأرضية ! التفت إلى زوجته مبتسمًا وقال :

ـ الحمد للّه .

ثم عاد مرة أخرى للكتاب .. سطر .. سطران .. ثلاثة ..

ـ أكيد الحمد للّه ، لكن أنا أطمئن !

شيء عظيم أن تجد من يريد أن يطمئن عليك ولكن ليس في هذا الوقت !

ـ لا جديد .

عاد إلى الكتاب مرة أخرى ..

بدأ يقرأ ، ولكن هذه المرة كان متحفزًا للمقاطعة القادمة ، وبعد سطرين وفي الثالث وجد ابنه يدخل عليه باكيًا :

ـ واء .. بابا ! أختي ضربتني !

ـ اذهب إلى ماما !

ـ ماما قالت لي : اذهب إلى بابا !

ـ قل لها : بابا قال لي : اذهب إلى ماما !

عاد إلى الكتاب مرة أخرى متحفزًا ، وبدأ يعدُّ الأسطر .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. ثم مقاطعة !

انتبه لأول مرة لهذا الأمر .. إنهم يقاطعونني في السطر الثالث دومًا !

في عمله في اليوم التالي وفي وقت الراحة فتح الكتاب ،

كانت عيناه تمر فقط على الأسطر دون أن يعي منها شيئًا ؛ فقد ارتبط ذهنه بوقت المقاطعة ووجدها دائمًا في السطر الثالث !

وعندما عاد إلى بيته أكمل الكتاب .. لا يذكر أنه اهتم بمضمون الكتاب ؛ فقد كان كل تركيزه منصبًا على موعد المقاطعة عند السطر الثالث !

أنهى الكتاب خلال أيام .. لا يذكر شيئًا مما فيه ، ولم يخرج منه إلا بشعوره بأن هناك سرًّا في السطر الثالث لا يعلمه !

مرت الأيام .. قرأ كُتبًا أخرى وكأنه لم يقرأها .. في كل مكان يقاطعونه .. يتطفلون عليه .. عند السطر الثالث !

بمرور الوقت صار إذا فتح الكتاب وكأنه يرى خطًا أسود مع كل ثلاثة سطور : سطر ـ سطر ـ خط أسود ـ سطر ـ سطر ـ خط أسود ...

كل ما قرأه لا يذكر منه شيئًا .. وإذا فتح الكتاب وقرأ سطرين بدأ يتمهَّل في الثالث بصورة تلقائية منتظرًا المقاطعة ، وإن لم تحدث توقف وكأنها جرعة مخدِّرات لا غنى له عنها !

ينظر إلى مكتبته وكتبه التي قرأها في صغره حيث لم تكن تفصل بين سطورها تلك السطور الثالثة السوداء .. تمنى أن تعود الكتب كما كانت .. هل يتمنى ، أم أنه تكيَّف بل صار يتلذذ بانتظار لحظة المقاطعة !

ظل ذاك الهذيان .... إحم ! ظلت تلك الملاحظة العظيمة حبيسة صدره إلى أن قرَّر ذات مرة أن يبوح بها لزوجته :

ـ هناك سر في السطر الثالث ! الكل يقاطعونني عنده !

نظرت إليه نظرة ريبة .. ظنته يمزح في البداية ، ولكن بمرور الأيام بدأت تشعر أنه .. مجنون !

حكى لبعض أصدقائه هذا السر الخطير .. لا يعلم لماذا أعرضوا عنه بمرور الأيام حتى صار لا يجد مَن يقاطعه عند السطر الثالث !

صار ينزل إلى الشوارع ويركب المواصلات العامة ويفتح الكتاب حتى يتلذَّذ بالمقاطعة عند السطر الثالث بعد أن تجنبه المقاطعون الأقربون !

ذات يوم أخبرته زوجته أنهما مدعوَّانِ على العشاء عند إحدى صديقاتها ، وسيكون زوجها في استقباله ، ذهب معها .. لم يكن يعلم أنه فخٌّ ، وأن من ادَّعت أنه زوج صديقتها كان طبيبًا نفسيًّا !

ـ حالته خطيرة ! إن تطورت الحالة قد نضطر أن نحجزه في المستشفى !

لم يعلم بذلك .. كان يتذكر لحظات القراءة الصافية في طفولته وشبابه وحبه للقراءة قبل أن يحل عليه شبح السطر الثالث .. يريد أن يتحرَّر منه .. يتمنى أن يعود للكتاب كما كان من قبل .. هم الآن لا يقاطعونه ، ولكن بعد ماذا ؟! بعد أن تلبَّس به ذاك العفريت !

قد تنتهي قصته بأنه صار يمشي في الشوارع لا يرى كتابًا عند بائعي الكتب إلا أمسكه وأخذ يشطب على السطور الثالثة فيه !!

وقد تنتهي بأنه جُنَّ وحُجز في مستشفى المجانين وقام أبناؤه ببيع كتبه لبائعي اللب والسوداني !!

وقد تنتهي بأنه فقد الذاكرة وصار أميًّا لا يعي معنى الحروف !!

المهم أن الجميع عادوا يقولون عنه مجنونًا كما كانوا يقولون عنه في صغره !!

« فرغت حدوتتا الخيالية » وخلصنا منها بهذه الرسالة الإنسانية الجميلة :

لا تقاطع أحدًا وهو يقرأ حتى لا يُجن !

كان يحلم ..

كان يحلم أن يصف الحقول والأنهار والأشجار
والورود وشلالات المياه المنسابة وسط
الخضرة الجميلة وصوت همسها البديع
وعصافير تغرد وأطفال يلعبون على ضفاف
النهر تعلو ضحكاتهم البريئة ..
لكنه ولد في هذا الزمان حيث كلُ ما حولك
مخضبٌ بالدماء

بين الدب
والإنسان

اعتقلت الشرطة الصينية رجلاً فر من العدالة لمدة ١٧ عامًا بعد اتهامه بالتورط في جريمة قتل دب باندا عام ١٩٩٥م ، ويواجه الآن عقوبة السجن ٨ سنوات !

قرأت هذا الخبر في جريدة « المصريون » (عدد٨٦ - ٢٠١٢/٢/١٤م) بعد أيام من إحباط الصين وروسيا لقرار مجلس الأمن ضد نظام الأسد بسوريا باستخدام حق الفيتو ..

الصين التي ترفض تطبيق العقوبة على نظام الأسد الذي يقتل الآلاف من بني آدم بدم بارد هي هي التي تعاقب قاتل دب الباندا !

بين الدب والإنسان !

قال الدُّب للإنسان :

يا إنسان !

منذ زمان ..

كم أتغنَّى ..

كم أتمنَّى ..

أن أكون كالإنسان !

خاف عليه

مال إليه :

اخفض صوتك يا حيوان !

كيف تريد أن تكون كالإنسان ؟!

ألم تقرأ في القاموس ..

قاموس القرن العشرين ..

والواحد والعشرين ..

والعاشر والعشرين ؟! !
ألم تعلم يا حيوان ..
ما معنى كلمة إنسان ؟!

إنسان ..
أن تُسبَى أمُّك
أن يُهدَم بيتُك
أن يُذبَح ولدُك ..
ثم تصمت كالحيوان
أقصد .. كالإنسان !

أما أنت يا ذا الأربع
تمشي تزهو تكبر ترتع
وإذا جُرح منك الأصبع
سار خبرك في البلدان !

قال الدُّب :
يا غلبان !
ما أعلمني أحد قبلك ..

كم أن الإنسان مهان !
لكن خبّرني يا مسكين ..
ما لي اليومَ أراك حزين ؟!

قال الإنسان :
يا حيوان .....
منذ زمان .....
كم أتغنى .....
كم أتمنى .....
أن أكون كالحيوان !!

أمسك قلمه بيمناه

بالأمس كانت تلك الكف تحتضنها يمين أخرى

تعلّمه :

أ .. ب .. ت ....

ومضت سنة الحياة ..

فأطلقته .. لينسج من « أبجد » ما يشاء !

ميكروباص !
(شِبه قصة!)

ميكروباص!

اختار مكانًا بجوار نافذة (الميكروباص) ، وأخرج كتابًا من حقيبته كعادته ، وشرع في القراءة ..

(الميكروباص) لم يكتمل عدده بعد ، وسائقه يقف مناديًا بنغمة سوقية مميَّزة ترسَّخت في العقل الباطن لصاحبنا ؛ فصار لا يتذكر ذهابه إلى العمل في الصباح الباكر إلا وتتبادر إلى مخيلته (شبورة) الصباح ممتزجةً بنداء السائق ذاك وبرودة لحظات الانتظار حتى يكتمل عدد (الميكروباص) !

مصر .. مصر .. مصر ..

بنغمة مميزة .. يختفي فيها حرف الراء ، وتتوسط الصاد بين السين والصاد ، وتلتحم النداءات لتصير (مَصْمَصْمَصْ) ! .. وعلى تلك النغمات قلَّب صفحات الكتاب ينتظر اكتمال العدد .. صفحة صفحتان ثلاث .. توقف منتبهًا إلى أنه يقرأ بعينيه ولكنه لم يعِ أي كلمة مما قرأ ..

أمر عاديٌّ يحدث معه أحيانًا .. أعاد علامة التوقف في الكتاب إلى موضعها الأول .. أغلق الكتاب ، وأسند رأسه على زجاج النافذة بجواره ، وأخذ يحرك شفتيه ببعض الأذكار والأدعية ..

كانت أنفاسه ترسم خريطة عشوائية من بخار الماء على زجاج النافذة يرى مِن ورائها هذا السائق وهو يُلِح على المارة ، وكأن إلحاحه سيدفع أحدًا لأن يغيِّر وجهته ويركب معه !

شابَّان ركبا (الميكروباص) معهما مجموعة من الحقائب .. الحمد لله .. من الواضح أنهما مِن طلبة جامعة القاهرة ، ومعهما حقائب الأسبوع استعدادًا للمبيت بالمدينة الجامعية أو السكن الخاص .. اعتاد على هذا المشهد ، واعتاد أيضًا على رؤية تصفيفة الشعر وكيلو (الجِل) الذي يتربع على رأس كل منهما ، و(البنطلون) المتشبِّث بصعوبة وقد أوشك على السقوط مبديًا من ورائه جزءًا من الملابس الداخلية (المشجَّرة) في مشهد يعتبره بعض الشباب علامة على الرجولة !

تكثَّفت بعض قطرات بخار الماء على الزجاج وبدأت تنحدر إلى أسفل .. راقبها بعينيه ..

صوت مزاح الشابين المتصنِّع وضحكاتهما المبتذلة المختتمة ببذيء السباب على أنغام صاحبنا السائق السوقي سحبته إلى أعماق هذا الشعور الهلامي المُصاحب لكل صباح !

راكب آخر .. الحمد للّه .. راكبة وليست راكب .. لا حول ولا قوة إلا باللّه .. أشاح بوجهه ولكن عطرها النفاذ اخترق مركز الشم في المخ .. وسأل نفسه ككل يوم : كيف سمح لها أبوها أو أخوها بذلك ؟

وطبعًا كالعادة .. تحوَّل كل شاب من الشابين إلى روميو أو مهنَّد ! تغيرت طريقة الكلام ، وارتفعت درجة حرارة الشهامة ، وغلظ صوت كل منهما كأن الفتاة قد أهدت إليهما ضفدعين ابتلع كلٌّ منهما أحدَهما !

تيه تيه .. نسأل اللّه العافية .. كيف سنخطو خطوة للأمام وهذا حال نبض القلب ؟!

مصمصمص ! !

السائق لا يمل .. وبخار الماء يتكاثف ليرسم دلتا النيل مع تغييرات طفيفة ! يرى مِن خلال فرعي دمياط ورشيد السائق وهو يشير إلى رجل مسن من بعيد ويقول : واحد مَصْ !

آهٍ يا مخادع ! خدعة كل يوم ! واحد مصر ، وبعد أن يركب وقد ظن أن الانطلاقة ستبدأ بمجرد أن يغلق باب (الميكروباص) وراءه ـ يجد أنه قد خُدع وأنه سينتظر .. ككلِّ يوم !

أمسك ذاك المسن بالباب ، وأخذ يجاهد محاولاً الركوب ، ولكنَّ ساقه كانت أوهن مِن أن يعتمد عليها ليدفع بجسده إلى (الميكروباص) .. وطبعًا كانت (طاقية الإخفاء) بطلة الموقف ، ولم يلتفت الشابان إليه لمساعدته ، وكأنه شفاف ! بينما كانت الفتاة منشغلة بهاتفها المحمول الصيني ذي الصوت المفجع صادحًا بأغنية ركيكة !

قام صاحبنا ، وساعد ذاك المسن ليركب (الميكروباص) .. مسح المسنُّ عرقه بعد هذا الجهد الذي بذله وشكره ، ثم ألقى بجسده على أحد الكراسي ، وعاد صاحبنا إلى مكانه ، وأعاد رأسه إلى مكانها بجوار خريطة أنفاسه البخارية ، وقد بدت له مشوَّهة .. تكاثفت القطرات وبدأت تنحدر كأنها..... .

أخرج ذلك المسن جريدة من حقيبته ، ولم يقم بمسح الصفحة الأولى بعينيه كما هي عادة متصفحي الجرائد

قبل تقليب الصفحات ؛ بل فتحها مباشرة على صفحة بعينها .. انتبه صاحبنا ، ورفع رأسه يرمق قِبلة ذاك المسن في جريدته ..

فوز فريق (الفاضي) على فريق (القاضي) بهدفين مقابل لا شيء ! عنوان بارز يتربع على رأس مقالة تحليلية ثمينة للمباراة استغرقت المسن حتى نخاعه الواهن !

حالة من الإحباط الشديد أصابت صاحبنا ..

توقفت نغمة (مصمصمص) وحلَّ محلّها صوت (موتور الميكروباص) .. وانطلق بقيادة السائق الذي أكمل عدد الركاب بتكرار خدعة (واحد مَصْ) التي يقع فيها نفس الركاب كل يوم !

انطلق .. وما زال الشابان يعبثان ويتجملان أمام الفتاة .. وما زالت الأغنية الركيكة تتصاعد من هاتفها المزعج .. وما زال هذا المسن مكبًّا على تحليل مباراة الفاضي والقاضي .. وكأن سكرة كبيرة عمَّت الجميع .. وصاحبنا ما زال على حاله .. لم تتوقف شفتاه .. تعلَّقت عيناه بوحدات الرصيف البيضاء والسوداء وهي تعدو بجوار السيارة .. خواطره تتوارد :

الإنسان .. متى زالت السكرة عن عقله .. هل يشعر أنه كان في سكرة ويعترف بذلك ، أم أنه ينكر ذلك ؟!

وهل من الممكن إذا أفاق أن يلتفت إلى مَن كان مُفيقًا ويتهمه بأنه كان سكرانَ الأمس ويسأله مستنكرًا :

أين كنتَ ؟!

أسئلة حائرة ..

سرعة السيارة تزداد ..

الأبيض يختلط بالأسود ..

وما زال البخار يتكاثف ..

سقوط

سقطت نفسه من شاهقٍ ..
تدلَّى بنصفه الأعلى ينظر إليها وهي تسقط !

ملل

عند طبيبه النفسي .. يشترط ألا يطلب منه أن
يقصَّ عليه ؛ فقد مَلَّ من القصِّ !

خُذلان

خذلان

سويًّا يسيران ..
يتألَّم .. يتوجَّع .. يتمزَّق ....
.... ورفيقه لا يلتفت إليه !

...

يُخوَّف .. يُروَّع .. يُزلزَل ....
..... وذاك الآخر .. لا تهتزُّ له شعرة !

..

يصرخ :
أخـــــي !
استولت عليَّ الأحزان ..
حزنني كَرْب الأشجان ..
ملكتني غمومُه ..
تقسَّمتني همومُه ..
أما تسمع شكواي ؟!

..

ظلَّ ذاك الشيء جامدًا !

..

استمر الألم ..

يـــصـــرخ ..

يـبـكـــي ..

يـنـــشـــج ..

يـنـتـحـب ..

يـئِـنُّ ..

يـعـــوي ..

..

..

..

تتناثر دماؤه على وجه أخيه ..

يرفع يديه ليمسحها .. دون أن يلتفت !

أمسك قلمه

في كتابين .. يكتب ..

كتاب مبثوث بين الناس

والآخر .. محفوظ ..

يُنشر بين يديه يوم القيامة

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

يعتريه الوجل :

اللهم إني أعوذ بك أن أزل وأنا أعلم

وأستغفرك لما لا أعلم

مُنى

(قصة)

« إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه

فزوِّجوه ،

إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »

حديث شريف

منك

أتلك دقَّات طبولٍ أم دقَّات قلبها الصغير ؟! تهزُّها هزًّا .. تخشى أن يفضحَها قلبُها فيصل صوتُ دقاتِه المتسارعة إلى أبيها وأخيها .. وإلى ذاك الشاب الحييِّ الجالس أمامهما ..

تراقب المشهد من خلف الستار .. أبوها يتكلم ويلوِّح بيديه كأنه نذير حرب ، والشاب قد احمرت أذناه واخضرَّتا وهو يقاوم أمواج السيل الهادر المندفع من فم أبيها والمليء بأوصاف الشقة والمهر والشبكة والمقدم والمؤخر و .. و .. يحاول أن يستنشق الهواء لكنه يغرق تحت الأمواج العاتية !

كالعادة .. وكالمرة السابقة ، وقبل السابقة ، وقبل قبل السابقة ، وقبل قبل قبل ..... ينصرف الشاب وتنطلق هي باكية إلى فراشها .. « صغيرة لا تعرف مصلحتها بعد » أبوها كالعادة متحدثًا خارج الغرفة ..

مرت عشرة أعوام وما زالت (الصغيرةَ) .. تزوَّجت قريناتها وما زالت (التي لا تعرف

مصلحتها) .. أنجبن وصرن أمهات وظلت هي هكذا : (الصغيرة التي لا تعرف مصلحتها) ..

إن شئتَ تمثَّل بالدُّب الذي قتل صاحبَه وما شابهه من أمثال ، لكن إياك أن تنسى أن تضيف إلى ما تمثَّلتَ به مأساة (مُنى) التي قتلتها مواصفات الشقة وأبعادها الرأسية والأفقية ، والشبكة وشكلها ووزنها ، والمهر ومقداره و .. و .. ، قتلتها بينما الدب يرى أنه يحفظ صاحبَه !

مع الأيام .. بدأ دقُّ الباب يخفُت ، وأقدام الخطاب تقلُّ ، وعاد كرسي الاعتراف الذي كان يجلس عليه الخُطَّاب أمام أبيها لا يجلس عليه غريب !

يومًا ما ..

عندما تزوج أخوها اكتست بثوبٍ من السعادة أخفت تحته فزعًا من المستقبل .. العمر يمر .. أبوها وأمها يكبران .. وستبقى معهما وحيدة ..

يومًا ما ..

أمام المرآة .. مدت يدها لتمسك بشعيرات بيض نبتت برأسها .. لقد مرت الأعوام .. أيقنت أنه قد كُتب عليها أن تظل هكذا وحيدة فداءً لرغبات أبيها ..

يومًا ما ..

(مُنى) ابنة أخيها الصغيرة .. سماها أخوها على اسمها .. كانت تبثها عاطفة الأمومة وكأنها ابنتها .. تزيِّنها وتمشِّط لها شعرها .. تأتي لها بالهدايا .. يسعد قلبها إذا سمعتها تنادي : عمتي .. تود أن لو نادتها : أمي ، ولكنه حق امرأة أخرى لم يقتلها حرص الدب !

يومًا ما ..

توفيت أمها .. وبعد أعوام توفي أبوها .. وبقيت وحيدة بين جدران البيت .. تنظر إلى كرسي الاعتراف وقد هرم ، ثم تنظر إلى نفسها في المرآة وقد أكلتها الأعوام .. ترضى بقدرها وتترحم على أبيها !

يومًا ما ..

يموت أخوها وزوجه في حادث ، وتنجو (منى) الصغيرة المفجوعة في والديها .. بكت عليه كثيرًا .. وآوت (منى) الصغيرة إلى بيت عمتها ..

كابنتها كانت تعاملها .. أفاضت عليها كل المشاعر التي يمكن أن يحويها قلب أنثى : حبها لوالديها .. حبها لزوجها ذلك الذي طالما انتظرته .. حبها لأولادها .. هؤلاء الذين كانت تتخيلهم بأشكالهم وأسمائهم ..

مرت الأعوام .. صارت (منى) الصغيرة جزءًا من (منى) الكبيرة .. إلى أن جاء اليوم الذي دقَّ فيه الباب ..

شاب حيي جاء ليجلس على نفس الكرسي ، ولكن هذه المرة لـ(منى) الصغيرة ..

يجلس الشاب مع عمة العروس ؛ فأبوها وأمها متوفيان ، وعمتها في مقام أمها كما علم ..

وقفت (منى) الصغيرة خلف الستار الشاهد على دقات قلب عذراء أخرى مكانها منذ عقود .. ترى عمتها وهي تلوح بيديها كنذير حرب ، والشاب ينكس رأسه وهو يسمع ميزانية الدولة التي تُملى عليه !

مرات عديدة غادر فيها فرسان أحلام (منى) الصغيرة بخيولهم جريحة بسهام عمتها ورماحها الماضية !

ويومًا ما ..

نطقت : (لماذا يا عمتى ؟! لماذا تفعلين فيَّ ذلك ؟!) ..

احتد الحوار بينهما طويلاً لتختمه العمَّة (منى) بحسم :

(يا منى .. أنت صغيرة لا تعرفين مصلحتك !) ..

قالتها .. شعرت كأن روحًا ما تُحلِّق في المنزل !

ضباب!

ظن أنه سيتخلص عندما يكبر من تلك الذبابة البغيضة التي كانت تلتصق به في صغره في الفصل الدراسي من أول اليوم إلى آخره ، وكأنها أخذت على نفسها عهدًا أن تحطّم أعصابه أو تخرجه عن شعوره .. وخاب ظنه؛ فقد اكتشف أن الحياة مليئة بالذباب !

سأنكأُ
جُرحًا!

سأنكأ جرحًا!

❶

عميقٌ .. كمحيط ..
مُرٌّ .. كعلقم ..
قديم .. كمومياء في مقبرة ..
أنساه .. ؟!
لا .. لا ..
وكيف لي أن أنسى ؟!
يؤلمني ..
يمزِّقني ..
ودومًا .. أؤجل مداواته إلى أن أنتهي ..
إما مِن مشاغل الحياة ..
أو مِن الحياة .. نفسها ! ! ..

❷

مراتٌ وقفت فيها مع نفسي ..
هممتُ أن أفتحه .. أطهره ..

لكن سرعان ما يدق الجرس ..
وأدور في الرحى .. ولا أنتهي ..

❸

أأنكر أنني تمكنت يومًا من أن أقف معه ؟
لا أنكر ..
ولكنني كنتُ كلما حانت الفرصة ..
تفحصتُ قلبي ..
فلم أجده في الحال التى أرضى بها أن أُقدِم ..
أخشى أن أخطئ في مداواته ..

❹

عبرةً يُضرب بها المثل .. هل سأكون ؟!
أدنو بحذر من رأس الثلاثين ..
ولم أنكأ الجرح بعدُ ..
فهل أفعلُ ؟!

❺

كتبتُ واحدة .. ولا أعلم هل سأُتبعُها أم لا !
..

نبض قلم

قلمه ..

لسانه الذي يغترف به من قلبه

قلمه ..

جناحاه اللذان يحلّق بهما في أي سماءٍ شاء

قلمه ..

يده الحانية التي يربت بها على أكتاف المساكين

قلمه ..

سيفه الذي ينافح به عن دينه وشرف أمته

قلمه ..

ذاك الشاهد عليه يوم المعاد

قلمه ..

تلك الأمانة التي حُمِّلها

فإن وفَّى فأنعِم به ..

وإن خان كان ظلومًا جهولاً !

حُلم على شاطئ

حلم على شاطئ

❶

منذ صغره .. يحب البحر ..

بانسياب موجه ..

وهديره الرقيق ..

البحر ..

بانعكاس أشعة الشمس على سطحه وقت (الإشراق) ..

كحبات اللؤلؤ المتناثرة يراها ..

❷

يحب البحر ..

بموجه اللطيف الذي يداعب قدميه

وهو على الشاطئ يقف ..

يحبه ..

ويشعر أن ذاك الحب مُتبادل ..

نعم .. البحر يحبُّه ..

أما تسمع الهمس الصامت بينهما ؟!
أما ترى ابتسامته البريئة له
والتي يقابلها البحرُ برذاذِ موجه الجميل ..
يتناثر على وجهه ..
فيضحك .. ويسعد ؟!
تحبني أيها البحر ؟ أليس كذلك ؟!

❸

جلس على شاطئ البحر ذات مرة ..
ودَّ أن يرسم حلمه الجميل على الرمال بجواره ..
بعصا صغيرة أخذ يرسم .. في سعادة ..
يرسم ..
وقلبه يطير فرحًا ..
يرسم ..
وينظر إلى البحر مبتسمًا ..
على يقين أن البحر سعيد لسعادته ..
أن البحر يشاركه هذا الأمل وذاك الحلم ..
مرت الأيام .. الشهور .. السنون ..
وما زال يرسم في جوار البحر ..

٤

بينما الحلم يكتمل ..

إذا بالبحر يرسل إحدى أمواجه لتغطي حلمه الجميل ..

..

انحسرت الموجة ..

وقد مُحي الحُلم ..

توقَّف قلبه للحظة تهدَّمت فيها ..

أحلام ..

آمال ..

مُنى ..

لقد ضاع الحلم !

٥

نظر إلى البحر الذي ما زال يحبه ..

يتعلَّق به ..

انحسرت دموعه لتختلط بماء البحر ..

اختلطت نعم .. ولكنها لم تُغير من البحر شيئًا ..

وأنَّى لها أن تُغيِّر !

بل منذ متى كانت تغيِّر ؟!

❻

نظر إلى البحر .. سأله :

لماذا ؟ حُلمي يا حبيبي !

لم يسمع سوى هدير الموج جوابًا ..

❼

خطا خطوات حتى خاض البحر ..

نظر إلى الماء فرأى انعكاس صورته على سطحه ..

سألها :

هل أخطأت بحب البحر ؟

هل البحر يحبني أم لا ؟

يا أنا ..

ضاع حلمي الجميل .. بسبب البحر ..

لم يجد جوابًا سوى ارتعاش سطح الماء بدموعه ..

❽

التفت ..

وخرج من البحر ..

وقد أجاب نفسه :

لم أخطئ بحبه ..
بل ما زلت أحبه .. وأظنه ما زال يحبني ..
لكن لعل خطئي
أن أردت أن أرسم حلمي الجميل على شاطئه ..

(صفر !)

ما زال .. يحب البحر ..
بانسياب موجه ..
وهديره الرقيق ..
البحر ..
بانعكاس أشعة الشمس على سطحه ..
وقت (الغروب) ..
كدموع امرأة ثكلى يراها ..

الفهرس

قبل الأحلام ٣

نبض قلم ١ ..... ٤

حصاني المجنح (قصة) ٥

نفسية ١٣

أحلام صغيرة ١٥

نبض قلم ٢ ..... ٢٤

السطر الثالث (قصة) ٢٥

كان يحلم ٣٥

بين الدب والإنسان ٣٧

نبض قلم ٣ ..... ٤٢

ميكروباص (شِبه قصة !) ٤٣

سقوط ـ ملل ٥١

خُذلان ٥٣

نبض قلم ٤ ..... ٥٧

مُنى (قصة) ٥٩

ذُباب ٦٥

سأنكأ جرحًا ٦٧

نبض قلم ٥ ..... ٧١

حُلم على شاطئ ٧٣